﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾

[هود: 70 - 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهما:

الإحـجـامُ بعد تقديم الطَّعام يحسُنُ تفسيرُه عند الكرام

السابقةُ ما كانَ منْ سجايا إبراهيمَ ﷺ؛ من إكرام الضّيفِ؛ إذ قدّمَ إليهمُ العِجلَ الحنيذَ احتفاءً بهمْ، فناسب ذلك ذكْرُ موقفِ إبراهيم ﷺ من مقابلةِ صنيعه، فلمّا وضعَ الطّعامَ أمامهُمْ لمْ يفعلوا فعلَ الأضيافِ، ويلمّوا بهِ، فها هيَ أيديهمْ لا تمتدُّ إليهِ، وهذا ما رابَ إبراهيمَ فأنكرَ فعلهُمْ، وأضمرَ الخوفَ في قلبهِ إيجاسًا؛ لما رأى منْ أحوالهِمْ[1]؛ فإنّ من شأنهم أنّهم إذا نزلَ بهم ضيفٌ ولم يأكلْ خافوا منهُ وظنّوا أنّه يضمرُ شرًّا، فلمّا كانَ منهم ذلكَ سرّوا عنه وبادروهُ بنفي الخوفِ عنه طمأنةً لهُ، فالمناسبة هي بيان موقف الضيفان بعد موقف إكرام إبراهيم لهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَوۡجَسَ﴾: أصل (وجس): كَلِمَةٌ تَدُلُّ على إحْساسٍ بِشَيءٍ وتَسَمُّعٍ لَهُ. توجَّسْتَ الشيءَ والصوتَ إذا سَمِعْتَهُ وأنت خائِفٌ[2]. فالوجْسُ: فَزْعَةٌ في القَلْبِ، أوْجَسَ القَلْبُ فَزَعاً، وفي السَّمْعِ أيضاً؛ وهو الصَّوْتُ الخَفِيُّ[3].

وممّا شَذَّ عَنْ هذا؛ وهو منَ الكلام المُشكِلِ، قَولُهم: لا أفْعَلُهُ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 9/330.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وجس).

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وجس).

سَجِيسَ الأَوْجَسِ: أي: لا أفعله الدهْرَ. وما ذُقْتُ عِنْدَهُ أَوْجَسَ: أيْ شَيْئًا منَ الطَّعام[1]. والمقصودُ بالوجْس في الآية: فزعة في القَلْب، أي: أَضْمَرَ واسْتَشْعَرَ الخَوفَ منهم[2].

2) ﴿فَضَحِكَتْ﴾: أَصْلُ الضَّحِك: انبِساطُ الوجْهِ وتكشُّر الأسنان منْ سُرورِ النَّفس. واستُعير الضَّحِكُ للسُّخرية، فقيل: ضَحِكْتُ منه، ورجلٌ ضُحَكَةٌ: يَضْحَكُ على النّاس، وضُحْكَةٌ: لمن يُضْحَكُ منه[3]. والضَّحْكَة: المرَّة الواحِدَةُ[4]. والضَّحِكُ المقصود منه في الآية: كَيْفِيَّةٌ في الفَم تَتَمَدَّد منها الشَّفَتانِ وربَّما أَسْفَرَتا عنِ الأسنانِ، وهي كَيْفِيَّةٌ تَعْرِضُ عند السُّرُورِ والتَّعَجُّبِ منَ الحُسْنِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لمّا رأى إبراهيمُ أيديَهم لا تمتدُّ إلى الطَّعام الَّذي قُدِّم إليهم؛ نَكِر ذلك منهم ووجده على غير ما يعهد من الضّيوف، فالعادة قد جَرَتْ أنَّ الضَّيف إذا لم يَطعم مما قُدِّم إليه؛ ظُنَّ أنَّه لم يَجِئْ بخيرٍ وأنَّه يحدِّث نفسَه بشرٍّ، فأحسَّ في نفْسِه خوفًا وفزعًا، حين شعر أنَّهم ليسوا بشرًا وربَّما كانوا من ملائكة العذاب، فقالت الملائكةُ لمّا رأت ما بإبراهيمَ من الخَوفِ: لا تَخَفْ؛ إنّا ملائكةُ رَبِّك أُرسِلْنا إلى قوم لُوطٍ لإهلاكِهم، وامرأةُ إبراهيمَ سارَّةُ كانت قائمةً من وراءِ السِّترِ تَسمعُ الكلامَ، فضَحِكَت تعجُّبًا ممّا سَمعَت، فبَشَّرْناها على ألسنةِ الملائكةِ بأنَّها ستلِدُ من زوجِها إبراهيمَ ولدًا يُسمَّى إسحاقَ، وسيعيشُ ولَدُها، وسيكونُ لها بعد إسحاقَ حفيدٌ منه، وهو يعقوبُ، عليهم السلام[6].

استحبابُ مُبادرةِ الضَّيفِ بالأكلِ، وبِشارةُ مَن وُلِدَ له ولَدٌ، وتهنِئته

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وجس).
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 11/472.
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ضحك).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ضحك).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/282.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 12/472، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 386، والمراغي، تفسير المراغي: 12/59.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ بالفاء:

في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ الفاءُ للعطفِ، وقدْ عطفتْ هذهِ الجملةَ على جملةٍ محذوفةٍ مقدَّرة، على معنى: فَقرَّبَ العجلَ الحنيذَ إليهمْ فلم يمدّوا أيديهُمْ؛ فخاطبهُمْ بأنْ يأكلوا منه[1]، فلمّا رأى أنّ أيديهُمْ لمْ تتحرّكْ منْ مكانِها كنايةً عنْ رفضِهمْ ضيافتهُ؛ نَكِرَهمْ.

العطفُ على محذوفٍ والتّقديرُ: فقرَّبه إليهمْ

معنى ﴿فَلَمَّا﴾ وأثرُها في بيانِ المعنى:

﴿فَلَمَّا﴾ اسم شرطٍ دالٌّ على الزَّمن، معَ إفادتِه تعليقَ الجوابِ على الشّرطِ؛ فإنّه حينَما "رأى إبراهيمُ أنّ أيديَهُم لا تصلُ إلى الطّعام توجّسَ من ذلكَ شرًّا ونَكِرهُم"[2]؛ فقدْ ترتّبَ الجواب ترتّبَ المعلولِ على العلّةِ؛ فإنّ انتفاءَ امتدادِ أيديهم علَّةٌ لنُكرانهم، ومعنى هذا التَّرتُّب أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يُنكر امتناعَهم عن تناول الطَّعام لمجرَّد شعورٍ وإحساس، بل لدليلٍ معتادٍ بين النّاس، ففيه أنَّ إنكارَ أمرٍ صادرٍ عن غريبٍ لا يكون إلا بدليل.

سرعةُ البديهةِ في اتِّخاذِ الموقفِ المطلوبِ نهجُ العقلاء ومسلكُ الحكماء

نوعُ الرُّؤيةِ:

نوعُ ﴿رَءَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ بصريَّةٌ، وفيها دلالةٌ على تخلّقِه عليه السلام بأخلاقِ الضّيافةِ؛ فإنّها توجبُ النّظرَ إلى الضّيفِ ليُعلمَ هلْ يأكلُ أو لا؟ ولكنّ الرّؤيةَ يجبُ أنْ تكونَ مقيّدةً لا مطلقةً؛ مقيّدةً بالتلفّتِ والمسارقةِ منْ غيرِ تعيينِ النّظرِ إلى الضّيفِ درءًا لإحراجِه فيمتنعُ عنْ الأكلِ أوْ يقصّرُ فيه[3] حياءً، فكانَ فعلُ إبراهيمَ عليه السلام على الغايةِ منْ سجايا الضّيافةِ لمّا وجّهَ نظرهُ نحو أيديهِمْ.

النَّظرُ إلى الضّيفانِ بعد تقديمِ الطَّعامِ من كمالِ المروءةِ وحسنِ الإكرامِ

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/398.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6557.
(3) الآلوسي، المعاني: 6/292.

توجيهُ تخصيصِ الأيدي بالذِّكرِ:

رقّـــةُ الأدبِ وعظيمُ الحياءِ في التّعاملِ مع الأضيافِ

في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ خُصِّصَتْ رؤيتُهُ عليه السلام أيديَ أضيافِه بالذّكرِ، والمتوقّعُ أنْ يكونَ نظرهُ نحو وجوههِمْ كعادةِ منْ يقابلُ ضيفَهُ ويحتفي به؛ وإنّما فعلَ ذلكَ تأدّبًا معهُمْ، وإظهارًا لحسنِ ضيافتِه كيْ لا يضعهُمْ موضعَ الحرجِ والاستحياءِ.

بلاغةُ التّعبيرِ بنفي وصولِ الأيدي إلى العجلِ:

اجتماعُ الكنايةِ، وتصويرِ المشهدِ، وتعليمِ الأدبِ في عبارةٍ واحدةٍ

جاءَ التّعبيرُ عن عدمِ الأكلِ، بنفي وُصولِ الأيدي إلى العجلِ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ بدلَ نفي الأكلِ، والمعنى أنّهمْ لمْ يمدُّوا أيديَهُمْ إلى أكلِه؛ فلمْ ينفِ وصولَهُمْ الذي ينشأُ عنْ مدِّ الأيادي؛ فكانَ انتفاءُ وصولِ الأيدي إلى العجلِ الحنيذِ كنايةً عنْ امتناعِهم عن الأكلِ، والكنايةُ - وإن طالت لفظًا - أبلغُ معنًى، فكنّى عن معنى عدمِ الأكلِ، وعن أدبِ التّعاملِ مع الضّيفانِ، مع تصويرِ المشهدِ كاملًا، وهذه المعاني الثّلاثة وغيرها لمن أرادَ طلبَ المزيدِ مستوحاةٌ من هذا التّعبيرِ بخلافِ قولنا: (فلما رآهم لا يأكلون).

موقعُ ﴿نَكِرَهُمْ﴾ في الجملةِ:

الإنكارُ النّفسيُّ سلوكٌ مطلوبٌ في موقعِه الأليقِ

جملةُ ﴿نَكِرَهُمْ﴾ لا محلَّ لها، تقعُ جوابًا للشرطِ غيرِ الجازمِ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾[1]، وهو إنكارٌ منه عليه السلام ناشئٌ بموجبِ فعلِهم المذكورِ في امتناعِ الأكلِ، وأمّا إنكارهُ المتعلّقُ بأنفسِهم فلا تعلّقَ لهُ بالأكلِ، وإنّما لأنّهم يخالفونَ ما هو معهودٌ من أجناسِ الأناسي[2].

(نَكِرَ) و(أنْكَر):

نَـكِـرَ دالٌّ على شدّةِ الإنكارِ مع خوفٍ وتوجُّسٍ

قولُهُ تعالى: ﴿نَكِرَهُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ، والنّونُ والكافُ والرّاءِ تدلُّ

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/398.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/224.

على خلافِ المعرفةِ الّتي إنْ حصلتْ سكنَ إليها القلبُ[1]، وهناك فرقٌ بين صيغةِ (نَكِرَ) و(أَنْكَرَ) من ثلاثةِ وجوهٍ:

الأول: صيغةُ الفعلِ هذا دالَّةٌ على الإنكارِ الشّديدِ والانفعالِ ممّا رأى منهمْ؛ فإنَّ نَكِرَ أبلغُ منْ أنكرَ[2].

الثّاني: مدلولُ الفعلِ الثّلاثيِّ المجرَّدِ ﴿نَكِرَهُمْ﴾ انتفاءُ معرفتِهِ بأضيافهِ وما كان منهم فحسبْ، أمّا (أنكرهُمْ) فمعناهُ دالٌّ على أنّهُ وجدهُمْ على صفةِ المنكَرِ[3]، وهو معنًى واردٌ في معاني صيغِ العربيَّةِ كإيجادِ الفعلِ على صفةِ الفاعلِ نحو: أبخلتُهُ أي: وجدتهُ بخيلًا، أوْ على صفةِ المفعولِ نحو: أحمدتُهُ أيْ: ألفيتهُ محمودًا[4]، وهذا المعنى غيرُ مرادٍ في الآيةِ؛ فإنَّ أضيافَ إبراهيمَ بصفتهِمُ الملائكيَّةِ أنأى عن صفةِ المنكرِ فاعلًا أوْ مفعولًا.

الثّالث: في استعمالِ هذا الفعلِ ﴿نَكِرَهُمْ﴾ ملمحٌ سياقيٌّ فبينَ هذا الفعلِ والفعلِ (أنكرَ) علاقةٌ تصريفيَّةٌ اشتقاقيَّةٌ، إلّا أنَّ الفرقَ في الاستعمالِ أنَّ (أنكرَ) يقربُ من الإنكارِ المَحْضِ، أمّا الفعلُ المجردُ (نَكِرَ) فمستعملٌ فيما إذا شابَ الإنكارَ خوفٌ وتوجُّسٌ[5] وهو الكائنُ في سياقِ الآيةِ.

بلاغةُ عطفِ الإيجاسِ على النَّكارةِ:

حبسُ الإيجاسِ في النفسِ بعد النَّكارةِ أدبٌ جمٌّ وذوقٌ رفيع

لَمّا كانَ منْ معنى الإنكارِ كرهُهُم وارتيابُهُ منْ أنَّ أيديَهُمْ لا تمتدّ إلى طعامه؛ عطفَ عليهِ ما يؤكّدهُ ويقوّيهُ وهو قولهُ تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، أيْ: شعرَ أنَّ في نفسهِ شيئًا من الخوفِ، وخشيَ منْ أنَ يُضمروا لهُ شرًّا بأن حسبهُمْ قُطّاعًا[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 9/330، والمنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 3/492.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 2/483.
(4) أبو حيّان، ارتشاف الضرب: 1/173.
(5) الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، ص: 120.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118.

وفي عطفِ جملةِ الإيجاسِ وهو الخطورُ القلبيُّ على جملةِ الإنكارِ فائدةٌ جليلةٌ وحكمةٌ بليغةٌ؛ فإنّه لا يُستَحبُّ ممّنْ كَرِهَ منْ ضيفِه شيئًا أنْ يُظهرهُ لهُ، بلْ يوجِسهُ في نفسِه، ويُخفيهِ في صدرِه؛ حتى لا يُشعرهم بشيء؛ إكرامًا للضّيفِ، وإنّما عرفوا دخائلهُ عليه السلام؛ لأنّهمْ ليسوا من البشرِ[1].

الملائكةُ مبتدأُ خوفِ إبراهيمَ عليه السلام

معنى الحرف (من):

معنى (من) في قولِه تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ابتداء الغايةِ[2]، ومدخولِها (هم) كنايةٌ عن أضيافِه؛ فإنّ الخيفةَ صدرت عنه عليه السلام بسبب الملائكةِ، وعليه فالإيجاس بدأ سببُه من جهتهم بوصْفهم سببَ الإيجاس.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ:

قصرُ الخوفِ على أن يكونَ من جهةِ الملائكةِ لبيانِ شدّته

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿مِنْهُمْ﴾ على المفعولِ به (خِيفة)، وهو في الأصلِ صفةٌ لـ﴿خِيفَةً﴾[3]، لتخصيصِ الخوفِ في كونه من جهتهم على وجهِ الخصوصِ للمبالغةِ، ولأنّه أرادَ أن يخبرَ أنّه عليه السلام قد أوجسَ منهم شيئًا وهو الخيفةُ، فتقديمُ الجارِّ فيه ترقّبُ النّفسِ ليتمكّنَ عندَ ذكرِه أفضلَ تمكّنٍ، ولو قيل: أوجسَ خيفةً منهم[4]؛ لاحتملَ المعنى أن تكونَ الخيفةُ من جهتهم، ومن جهةِ غيرِهم، والمراد أن يكونَ المعنى مختصًّا بخوفِ إبراهيمَ منهم.

نكتةُ التّعبيرِ بقولِه: ﴿خِيفَةً﴾ مادةً وصيغةً:

صيغةُ (خيفة) أشدُّ مبالغةً من الخوفِ

لفظُ ﴿خِيفَةً﴾ مشتقّ من الخوفِ، وهو بمعناهُ، وإنّما جاءَ بها على وزنِ (فِعْلَة) الدّالةِ على الهيئةِ والحالةِ الّتي يكونُ عليها الإنسانُ من الخوفِ، وهي تمييزٌ محوَّلٌ من المفعولِ[5]، واختيارُها بالذّكرِ منْ بابِ

(1) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن: 3/1609.
(2) وهو الأصل في معانيها، المبرد، المقتضب: 1/44.
(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/398.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/225.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3730.

المبالغةِ؛ فإنّهُ تفرَّسَ بهمْ معَ جهالتهِ لهمْ، وانتفاءِ معرفتهِ بهم[1]؛ فصيّرهُ على حالةٍ معيَّنةٍ من الخوفِ، رسمها التّعبيرُ الحكيمُ بصيغةِ ﴿خِيفَةً﴾ وليسَ خوفًا كما عُهِدَ في غيرِها من الآياتِ.

فائدةُ تنكيرِ ﴿خِيفَةً﴾:

عِظَمُ الخيفةِ دليلٌ على توقُّعِ الشَّرِّ

لتنكيرِ ﴿خِيفَةً﴾ فائدةٌ في التّعبيرِ الحكيم، وهي دلالتُها على التّعظيم بموجبِ ما رأى من أحوالهِم وما شاهدَ من جَلالهِم[2]، في انتفاءِ امتدادِ أيديهم؛ فإنّها من أماراتِ العداوةِ وعلاماتِ الشّرّ.

توجيهُ المتشابهِ اللّفظيّ:

يحسُن في ميدانِ التَّحدِّي من الإخفاءِ ما لا يحسُن في سواه

جاءَ تقييدُ الخيفةِ بالنفسِ في قصةِ موسى ﷺ فقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾ [طه: 67]، وليس الأمر كذلك في قصّةِ إبراهيمَ ﷺ حيث قال: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ فيُسألُ عنْ سرّ ذلكَ؟

والجوابُ: أنَّ موسى ﷺ عندَما أوجسَ خيفةً أخفاها في نفسِهِ؛ فإنّهُ في ميدانِ المواجهةِ معَ أعدائهِ منْ فرعونَ وسَحَرَتِه؛ فليسَ حَريًّا بهِ إظهارُ خوفهِ فيضعفُ وهو في موقفِ تَحَدٍّ وإعجازٍ، فلمّا أضمرَ خيفتَهُ، ولمْ تبدُ على وجههِ كانَ ذلكَ مُعينًا على انتصارهِ على عدوّهِ.

أمّا إبراهيمُ ﷺ فإنّهُ حاولَ إضمارَ خوفهِ لكنّهُ ظهرَ عليهِ؛ فهو ليسَ في ميدانِ التّحدّي لتقومَ الملائكةُ بتطمينهِ، وفي تقديم منهمْ تخصيصُ الخوفِ من الملائكةِ فجاءَ الأمانُ منهم[3].

علّةُ الفصلِ:

الاستئنافُ البيانيُّ غذاءُ العقلِ لتقديرِ المحذوفِ

جاءَ فصلُ جملةِ ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّهُ جعلَها كالجوابِ فإنّه لمّا أوجسَ منهم خيفةً رأوا ذلكَ على وجههِ[4]؛ ليكونَ هذا الظّهورُ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/292.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 9/330.
(3) محمد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 12/65.
(4) الفراء، معاني القرآن: 2/22.

بمنزلةِ أن قالَ لهم: إنّي خفتُ منكُم، فكانتْ إجابتهُم تطمينَهُ؛ ففصلَ على الطّريقةِ الّتي تُحكى بها المحاوراتُ[1]، فهي استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنّها جوابٌ لكلامٍ مقدَّرٍ محذوفٍ تدلُّ عليهِ جملةُ الإيجاسِ وهي قولهُ: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ على تقديرِ أنّهُ أخبرهُمْ بما يشعرُ بهِ منْ خوفٍ ووجلٍ[2].

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

الإعلامُ بالخفيِّ إكرامٌ للتَّقيِّ وإجلالٌ للنَّقيِّ

الجملةُ في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ استئنافٌ بيانيّ ناشئٌ عنْ سؤالٍ تقديرهُ: فماذا منْ شأنِكمْ، أوْ ما الّذي جاءَ بكُم؟ فكاشَفوهُ بأنّهمْ من الملائكةِ، وأنّهمْ مرسلونَ لخَطْبٍ جليلٍ؛ فهذه هي علّةُ مجيئِهمْ، وإعلامُهمْ إبراهيمَ منْ بابِ إكرامهِ[3] عليه السلام.

نكتةُ التّعبيرِ بالفعلِ المبنيّ للمفعولِ:

الإرسالُ في شأنِ العذابِ يحسُن معه عدم التّصريح بلفظِ الجلالةِ

أوردَ النَّظمُ فعلَ الإرسالِ ﴿أُرْسِلْنَآ﴾ مَبنيًّا للمفعولِ للعلم بهِ من المخاطَبِ وهو إبراهيمُ عليه السلام؛ ولأنّه "ممّن لا يُردّ أمرهُ"[4] وهو الحقُّ سبحانهُ، ولأنَّ الإرسالَ كان بشأنِ العذابِ، فَحَسُنَ بناءُ الفعل للمفعول.

فائدةُ حذفِ مُتعلَّقِ فعلِ الإرسالِ:

تهويلُ العذابِ وتفخيمُ شأنه

يقتضي قولُهُ تعالى: ﴿أُرْسِلْنَآ﴾ وجودَ متعلِّقٍ تقديرُهُ: أُرسِلنا بالعذابِ إلى قومِ لوطٍ، لكنّهُ حُذِفَ باعتبارِ العلم به لدى المخاطَبِ – وهو إبراهيم عليه السلام –، ولتهويلِ شأنِه، وتفخيم أمرِه؛ فإنَّ للحذفِ شأنًا في بيانِ المعاني لا يكون للذِّكرِ.

معنى إضافةِ قومٍ إلى لوطٍ عليه السلام:

الأقوامُ المفرَّقون والأنسابُ المشتتة يجمعُهم اسمُ نبيٍّ

الإضافةُ في قولهِ تعالى: ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾ دالَّةٌ على التّعريفِ؛ فقدْ عبّرَ عنْ هؤلاءِ الأقوامِ الموعَدينَ بالعذابِ بقومِ لوطٍ؛ فأضافَ القومَ إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 9/330.

الاسم العلم وهو نبيُّ اللهِ لوطٌ ﷺ؛ لأنّهُ لَمّا لمْ يكنْ لأولئكَ الأقوام اسمٌ يجمعهُمْ أوْ نسبٌ ينتسبونَ إليهِ إذ كانوا أخلاطًا وفصائلَ بحسبِ قراهُمْ[1] - أضافهَم إلى لفظةِ لوطٍ تعريفًا وتمييزًا، وهذا شأنُ من يمارس هذه الفاحشة، فمحالٌ أن يرضى بها قومٌ أصيلون، ينتسبون إلى نسبٍ شريفٍ، أو عِرْقٍ نبيلٍ، بل هم شتاتٌ ممزَّعون من قبائلَ متعددةٍ، رَمَتْ بهم أصلابُ آبائهم في ضِياعِ الضَّياع.

معنى الواوِ ونوعها:

الواوُ في قولهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ للحالِ والجملةُ حاليَّةٌ[2]، أي: في تلكَ الحالِ الّتي عليها امرأتهُ؛ فإنّ (سارّة) زوجهُ كانتْ حاضرةً تقريهم وتقدّمُ الطّعامَ إليهم؛ فعادتهُم كعادةِ العربِ إذ ذاكَ أن تقومَ ربّةُ المنزلِ على خدمةِ أضيافِ البيتِ[3]؛ فهو عندهُم من مكارم الأخلاقِ وسجايا الكرم.

خدمةُ الضُّيوفِ بالحِشْمةِ ممّا لا تُنكره محاسنُ الأخلاق

نكتةُ التَّعبيرِ بامرأةٍ دونَ زوجةٍ:

في قولهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ استُعملَت مفردةُ (امرأة) دونَ (زوجة) أوْ نحوِها من المترادفاتِ؛ لما يعطيه هذا اللفظُ منْ معنى الكمالِ؛ فإذا مُدِحَتْ إحداهُنَّ بصفاتِ الكمالِ؛ قيلَ لها: امرأةٌ[4]، وهيَ هنا سارّة زوجُ إبراهيمَ الّتي وُصفتْ بأنّها كاملةُ المروءةِ[5] كِنايةً عن مدحِها، ولم يقل: زوجه باعتبارِ أنَّها لم تُنجب منه بعد.

وامـرأتـهُ سـارّة كـامـلـةُ المـروءةِ قائمةٌ

سرّ التَّعبيرِ بالقيام:

التّعبيرُ بقولهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ فيهِ دلالةٌ على الحضورِ لأجلِ خدمتهِمْ، وهذا دأبُ النّساءِ في ذلكَ العصرِ، فلا يحتجبنَ

الاسـتـعـدادُ والمبادرةُ لخدمةِ الضّيفانِ مكرُمةٌ ونُبْلٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118.
(2) العكبري، التبيان: 2/706، وفي تعيين صاحب الحال خلاف لكنه ليس ذا أهمية فيما نحن بصدده.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/118.
(4) الكبيسي، الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم: 1/434.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 9/330.

لا سيّما العجائزُ؛ فقدْ كانتْ قائمةً مستعدَّةً لتقديم الخدمةِ، فهي مستعدّة في أيِّ وقتٍ للمسارعةِ بإحضارِ المطلوبِ، لا تلوي على شيءٍ.

دلالةُ ذكرِ الضَّحكِ:

التَّعجُّبُ من خوفِ إبراهيمَ في مقابلِ عدم ذلك من النمرود

لَمّا كانَ منْ شأنِ إبراهيمَ الخوفُ بإظهارِ الإنكارِ وإضمارِ الإيجاسِ، وكانَ منْ شأنِ الملائكةِ تطمينهُ بقولهمْ: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ كانَ ذلكَ أدعى إلى أن تضحكَ امرأتهُ تعجّبًا منْ حالهِ؛ فإنّهُ لمْ يخَفْ ولمْ يرتعدْ من النمرودِ الجبّارِ حينَ قذفهُ في النّارِ، فكيفَ يخافُ من أضيافهِ في حشمهِ وخدمهِ[1]؟! أو أنَّها ضحكتْ من زوالِ الخيفةِ، وهو الأظهرُ[2].

معنى الفاءِ:

البُشرى مكافأةُ الطَّمأنينة وزوالِ الخيفة

الفاء في قولهِ تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ دالّةٌ على السّببيةِ؛ فلمّا ضحكت بسببِ زوالِ الخيفة، بُشرت بالولدِ، فهي كالمكافأةِ لها، أو أن تكون تعقيبيَّة، أي: بمجرَّد ما أن ضحكت بُشِّرت.

وجهُ تخصيصِ زوجِ إبراهيمَ عليه السلام بالبُشرى:

المرأةُ أعجلُ فرحًا بالولدِ وخُصّت بالبشارةِ لعدمه مطلقًا

في قولهِ تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ جعلَ الحقُّ سبحانهُ البشارةَ مخصَّصةً بـ (سارة) زوجِ إبراهيمَ عليه السلام؛ لأنَّ المرأةَ أعجلُ بالفرحِ بالمولودِ، وكانَ إبراهيمُ قدْ تلقّى أولى البُشريَيْن، وأُتبِعَ بالأمنِ والتّطمينِ. وخصّتْ - من جهةٍ ثانيةٍ - بالبشارةِ؛ إذْ لمْ يكنْ لها ولدٌ، وكانَ لإبراهيمَ ولدٌ وهو إسماعيلُ[3].

معنى الباءِ:

بشارةٌ عن قربِ المبشّرِ بهِ من زوجِ إبراهيمَ

والباءُ في قولهِ تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ دالَّةٌ على الإلصاقِ والقربِ[4]، وفيها معنى القربِ بأنَّها ستَلِدهُ؛ فالمرأةُ ألصقُ الناسِ بوليدِها وأقربُ منه.

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/161.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 6/115.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/182، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/225.
(4) محمد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 12/66.

براعةُ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿وَمِن وَرَآءِ﴾:

وقولُهُ تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ عبَّرَ عن هِبَتِهِ تعالى لهم بيعقوبَ بعدَ إسحاقَ بلفظِ ﴿وَرَآءِ﴾، ولمْ يقلْ: ويعقوبَ، أوْ ولدِهِ يعقوبَ، وفائدةُ ذلكَ التّطاولُ في الزّمنِ والتمادي فيهِ؛ فإنَّ المعنى أنّه سيعيشُ إسحاقُ ثمَّ يأتي بعدهُ يعقوبُ بزمنٍ ليسَ قصيرًا فيكونُ "حفيدًا لها من ابنِها إسحاقَ، وفي هذهِ الآيةِ بشارةٌ أخرى بطولِ عمرِهما حتّى يريا ولدهُما يكبرُ ويتزوّجُ ويأتيهُ ولدٌ"[1].

الإخبارُ بغيبِ المستقبَلِ حتّى يريا ولدَ الولدِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوصول والبلوغ:

الوصولُ من (وصلَ) والواوُ والصّادُ واللام "يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يعلقهُ، ووصلتهُ بهِ وصلًا"[2]، ومعناهُ أيضًا أن يتّحدَ شيءٌ بشيءٍ آخرَ[3]، وفعلُ الوصولِ يستعملُ في الأعيانِ وفي المعاني، وقولهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾ كِنايةٌ عن انتفاءِ الأكلِ منهم[4]، وأنّهمْ لمْ يبادروا أصلًا إلى ما قَدَّمَ لهمْ ﷺ منْ طعامٍ.

الوصولُ الانتهاءُ إلى المطلوبِ والبلوغُ الوصولُ لأعلى المطلوبِ

أمّا البلوغُ فهو الوصولُ وأنْ تشارفَ عليهِ[5]؛ فالفرقُ بينَ الوصولِ والبلوغِ أنَّ الأوّلَ فيهِ معنى الاتّحادِ والتّلبُّسِ، أمّا الثّاني فإنَّ المشارفةَ مُؤْذِنةٌ بالوصولِ فحسب، والوقوفُ عندَ الحدِّ لا يتجاوزهُ، فالوصولُ أكثرُ عمقًا منْ هذا الجانبِ، ومَقْصِدُ النَّظْمِ العزيزِ أنْ يصفَ امتناعَهمْ عن الأكلِ بأبلغِ صورةٍ، فعبّرَ بالفعلِ الأكثرِ تلبُّسًا وهو الوصولُ.

القيام والوقوف:

الوقوفُ من الواوِ والقافِ والفاءِ، والأصلُ فيهِ الدلالةُ على المكثِ

الوقوفُ مُكْثٌ حسّيٌّ والقيامُ يتجاوزه إلى المعنويِّ

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 3/137.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وصل).
(3) الراغب، المفردات: (وصل).
(4) الهروي، كتاب الغريبين في القرآن والحديث: 1/2006.
(5) الجوهري، الصحاح: (بلغ).

في شيءٍ والإمساكِ عنهُ، وموقفُ الإنسانِ ما يقفُ فيه[1]، وغالبُ معاني الوقفِ حسّيَّةٌ عينيَّةٌ، أمّا القيامُ فهو منْ (قامَ يقومُ)، ويكونُ بمعنى الوقوفِ، ويجاوزهُ إلى الدّلالاتِ المعنويةِ كقولهمْ قامَ بأمرِ كذا[2]، أي اعتنى بهِ؛ ولذلكَ جعلهُ ابنُ فارسٍ على هذينِ المعنيين الكليين: الانتصابِ والعزيمةِ[3]، فيدلّ الانتصابُ على الحالةِ الحسّيةِ، وتدلُّ العزيمةُ على الحالةِ المعنويةِ، وهذا المعنى ألصقُ بحالةِ امرأةِ إبراهيمَ عليه السلام في قولهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾؛ فإنَّ قيامَها لمْ يكنْ قيامًا حسّيًّا؛ لأنّهُ بمعنى سماعِها محاورةَ إبراهيمَ معَ أضيافهِ الملائكةِ، أوْ بمعنى الصّلاةِ، أوْ قيامها بخدمةِ القومِ[4]، وهذهِ المعاني جميعًا ليستْ بمعنى القيامِ المرادفِ للوقوفِ بمعناهُ المحْضِ، وفي ذلكَ تتبينُ دقّةُ استعمالِ القيامِ دونَ غيرهِ من المفرداتِ القريبةِ من معناهُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقف).
(2) الجوهري، الصحاح: (قوم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(4) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 3/188.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»